أثر استحضار واستشعار نية التقرب إلى الله تعالى في الطهارة والصلاة

من كتب العلامة

محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

جمع وإعداد

مساعد بن عبد الله السلمان

الطبعة الثالثة مصححة ومزيدة

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فعندما كنت أقرأ في كتب شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان يمر بي خلال قراءتي لهذه الكتب، نفائس عزيزة قد لا توجد في بطون الكتب، حول ما يتعلق باستحضار واستشعار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ في الطهارة والصلاة، فكنت أقيدها لنفسي، ثم رأيت أن أخرجها ليعم نفعها، والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم وأن ينفع به.

❋❋❋

وصية العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: فأوصيك يا أخي ونفسي أن تحرص دائمًا على اغتنام الأعمال بالنية الصالحة حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً!.[(١)]

***

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٧٤ .

أهمية استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ

مـا من عامل إلا وله نية، ولكـن النيات تختلف اختلافًا عظيمًا، وتتباين تباينًا بعيداً كما بين السماء والأرض.

مـن الناس من نيتـه في القمة في أعلى شـيء، ومن الناس من نيتـه في القمامة في أخس شـيء وأدنى شـيء؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملاً واحداً يتفقان في ابتدائه وانتهائه وفي أثنائـه، وفي الحركات والسـكنات، والأقوال والأفعال، وبينهما كما بين السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية.

إذن: الأسـاس أنـه ما من عمـل إلا بنية، ولكـن النيات تختلف وتتابين.(١)

ولهـذا قيل: "أهل اليقظة عاداتهم عبادات، وأهل الغفلة عباداتهم عادات" كل ذلك من أجل النية.(٢)

---

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ١٨ .

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٨٣ .

عند استحضار النية

النَّيةُ شَـرْط في صِحَّة جميع العبادات لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّمـا الأعمال بالنِّيَّـات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نـوى»، والنِّيَّة نيَّتان:

* **الأولـى:** نِيَّـة العمل، ويتكلَّم عليهـا الفقهاء رَحِمَهُمُ اللَّهُ أنها هي المصحِّحة للعمل.

* **الثانيـة:** نِيَّـة المعمول لـه، وهذه يتكلَّـم عليها أهل التَّوحيد، وأرباب السُّلوك لأنها تتعلَّق بالإخلاص.

مثاله:

عند إرادة الإنسان الغسل ينوي الغُسْل، فهذه نيَّة العمل.

لكـن إذا نَـوى الغُسْـل تقرُّبـًا إلـى الله تعالـى، وطاعـة لـه، فهذه نيَّـة المعمـول لـه، أي: قصَـد وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهـذه الأخيـرة هـي التي نغفـل عنهـا كثيراً فلا نسـتحضر نيَّـة التقرب، فالغالـب أنَّنا نفعـل العبادة على أننـا ملزَمون

بها، فننويها لتصحيح العمل، وهذا نَقْصٌ، ولهذا يقول الله تعالى عند ذِكْرِ العمل: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢] و﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ٢٠]، و﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨]. (١)

إذاً عندما نفعل العبادات علينا أن نستشعر بأننا نقوم بها امتثالاً لأمر الله تعالى ؛ لأن شعور الإنسان عندما يفعل العبادة بأنه يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى فإن هذا مما يزيد في إيمانه، ويجد لها لذة، وهذه هي نية المعمول له، بخلاف الذي يفعل العبادة وهو غافل عن هذا المعنى، فإن العبادة تكون كالعادة، ولهذا قال المتكلمون على النيات: إن النية نوعان نية العمل ونية المعمول له، والأخيرة أعظم مقاماً من الأولى ؛ لأن نية العمل تأتي ضرورة، فما من إنسان عاقل يقوم بعمل إلا وقد نواه وقصده، حتى قال بعض العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: لو كلفنا الله عملاً بلا نية لكان من تكليف

(١) انظر الشرح الممتع ١/ ٣٥٨.

مـالا يطاق، لكن المقام الأسـنى والأعلى: نيـة المعمول له التي تغيب عنا كثيراً.(١)

❊❊❊

(١) انظر شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص ٣٢ .

استحضار احتساب الأجر على الله تعالى

هل يشترط للثواب على العمل أن يحتسب الأجر على الله، أو يحصل له الأجر وإن لم يحتسب ؟

نقول: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا -ولم يقل: إيمانًا فقط، بل قال: إيمانًا واحتسابًا- غُفِر له ما تقدم من ذنبه) واحتساب الأجر له أثر عظيم على إحسان العمل؛ لأنك إذا علمتَ أنك كما تدين تُدان، وكما تعمل تُجازى، وأن الجزاء على قدر العمل؛ فسوف تحسن العمل، أما إذا شعرت بأنك إذا أديت العمل برئت ذمتك فقط، وأنك لن تعاقب على تركه، فعملك ناقص.

لهذا أحث نفسي وإياكم على استحضار هذا المعنى؛ أنك إذا عملتَ العمل تحتسب أجره على الله عَزَّوَجَلَّ.(١)

❋❋❋

(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ١٥ .

عند الطهارة من النجاسة والحدث

١) يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إذا غسلت ثوبك من النجاسة، تحس بأن الله أحبك ؛ لأن الله يحب المتطهرين، إذا توضأت ؛ تحس بأن الله أحبك؛ لأنك تطهرت، إذا اغتسلت؛ تحس أن الله أحبك؛ لأن الله يحب المتطهرين.

ووالله ؛ إننا لغافلون عن هذه المعاني، أكثر ما نستعمل الطهارة من النجاسة أو من الأحداث ؛ لأنها شرط لصحة الصلاة؛ خوفًا من أن تفسد صلاتنا، لكن يغيب عنا كثيرًا أن نشعر بأن هذا قربة وسبب لمحبة الله لنا، لو كنا نستحضر عندما يغسل الإنسان نقطة بول أصابت ثوبه أن ذلك يجلب محبة الله له، لحصلنا خيرًا كثيرًا، لكننا في غفلة. (١)

٢) **الطهارة تنقسم إلى قسمين:** طهارة معنوية وطهارة

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠٢ .

حسية، فالطهارة المعنوية، وهي التي ينبغي أن يقصدها المسلم، فهي تطهيره من الذنوب، فإذا غسل وجهه، خرجت كل خطايا نظر إليها بعينيه، كما في حديث: (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) وذكر العين - والله أعلم - إنما هو على سبيل التمثيل، وإلا فالأنف قد يخطئ، والفم قد يخطئ؛ فقد يتكلم الإنسان بكلام حرام، وقد يشم أشياء ليس له حق أن يشمها، ولكن ذكر العين؛ لأن أكثر ما يكون الخطأ في النظر.

فلذلك إذا غسل الإنسان وجهه بالوضوء خرجت خطايا عينيه، فإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه، فإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه، حتى يكون نقيًا من الذنوب.

ولهذا قال الله تعالى حين ذكر الوضوء والغسل والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾، يعني ظاهراً

وباطنًا، حسًا ومعنى، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦﴾ (المائدة: ٦)، فينبغي للإنسان إذا توضأ أن يستشعر هذا المعنى، أي أن وضوءه يكون تكفيراً لخطيئاته، حتى يكون بهذا الوضوء محتسبًا الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ والله الموفق.(١)

❊❊❊

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٢/ ١٨٢ .

عند الوضوء

١) أذكّر نفسي وإيّاكم بمسألة مهمة وهي: كلنا يتوضّأ إذا أراد الصلاة، لكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط، وهذا لا بأس به، ويحصل به المقصود، لكنْ هناك شيء أعلى وأتم:

* **أولاً:** إذا أردت أن تتوضأ استشعر أنك ممتثل لأمر الله في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: الآية ٦) حتى يتحقق لك معنى العبادة.

* **ثانيًا:** إذا توضأت استشعر أنك متبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ..» حينئذٍ يكون الإخلاص والمتابعة.

* **ثالثًا:** احتسب الأجر على الله عَزَّوَجَلَّ بهذا الوضوء،

لأن هذا الوضوء يكفر الخطايا، فتخرج خطايا اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد، وهكذا بقية أعضاء الوضوء .

هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة أكثر الأحيان نغفل عنها، كذلك إذا أردت أن تصلي وقمت للصلاة استشعر أمر الله بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (البقرة: ٤٣) ثم استشعر أنك تابع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: "صَلوا كَمَا رَأَيتُموني أُصَلي" ثم احتسب الأجر، لأن هذه الصلاة كفارة لما بينها وبين الصلاة الأخرى، وهلم جراً.

يفوتنا هذا كثيراً ولذلك تجدنا - نسأل الله أن يعاملنا بعفوه - لا نصطبغ بآثار العبادة كما ينبغي وإلا فنحن نشهد بالله أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكن مَنْ مِنَ الناس إذا صلى تغير فكره ونهته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟! اللهم إلا قليل، لأن المعاني المقصودة مفقودة.(١)

(١) انظر شرح الأربعين النووية ص ٢٥٢ .

٢) ورد في الحديث أن «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» تخرج خطاياه مع هذا الوضوء حتى من تحت أظفاره، وعلى هذا فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذا الحديث وأمثاله يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، يعني: أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله، كما أنه إذا صلى يستشعر بأنه يتقرب إلى الله، كذلك وهو يتوضأ، ويستشعر بأنه يمتثل أمر الله في قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ (المائدة: آية ٦) ويستشعر أيضًا أنه متبع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وضوئه، وكذلك أيضًا يستحضر أنه يريد الثواب وأنه يثاب على هذا العمل حتى يتقنه ويحسنه والله الموفق.(١)

❋❋❋

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ١١ .

عند الفراغ من الوضوء

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أسبغ الوضوء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فُتِّحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل مِن أيها شاء) وزاد الترمذي: (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) أريد من نفسي وإياكم أن نستحضر أننا إذا فعلنا ذلك فتِّحت لنا أبواب الجنة حتى نحرص على إسباغ الوضوء، ونحرص على قول كلمة التوحيد بعد الفراغ من الوضوء.

فهذه مسألة ينبغي أن نتفطن لها، وهي: احتساب الأجر من الله على هذا العمل.[1]

❋❋❋

(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ١٥ .

عند الذهاب إلى المسجد

١) عندما تأتي إلى الصلاة فاستشعر أنك مستعين بالله عَزَّوَجَلَّ ومعتمد عليه ومتوكل عليه، وأعتقد أن أكثر الناس لا يطرأ على بالهم أنهم مستعينون بالله، بل يأتي يصلي على العادة.(١)

٢) التوكل نصف الدين، ولهذا نقول في صلاتنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، فنطلب من الله العون اعتماداً عليه سبحانه بأنه سيعيننا على عبادته.

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨]، ولا يمكن تحقيق العبادة إلا بالتوكل؛ لأن الإنسان لو وكل إلى نفسه وكل إلى ضعف وعجز، ولم يتمكن من القيام بالعبادة، فهو حين يعبد الله يشعر أنه متوكل على الله، فينال بذلك أجر

(١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص ٦٧ .

العبادة وأجر التوكل، ولكن الغالب عندنا ضعف التوكل، وأننا لا نشعر حين نقوم بالعبادة أو العادة بالتوكل على الله والاعتماد عليه في أن ننال هذا الفعل، بل نعتمد في الغالب على الأسباب الظاهرة وننسى ما وراء ذلك فيفوتنا ثواب عظيم، وهو ثواب التوكل، كما أننا لا نوفق إلى كمال العبادة كما هو الغالب، سواء حصل لنا عوارض توجب انقطاعها أو عوارض توجب نقصها.(١)

٣) قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة، ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه

(١) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ١٨٩ .

الـذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمـه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه) متفق عليه.

قولـه: (فلـم يخط خطـوة إلا رفع له بهـا درجة، وحط عنه بها خطيئة) سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد، كل خطوة يحصل بها فائدتان:

* الفائدة الأولي: أن الله يرفعه بها درجة.

* والفائـدة الثانيـة: أن الله يحـط عنه بهـا خطيئة، وهذا فضل عظيم. حتى يدخل المسجد؛ فإذا دخل المسجد فصلى ما كتـب له، ثم جلس ينتظـر الصلاة؛ (فإنه في صـلاة ما انتظر الصـلاة)؛ وهذه أيضـًا نعمة عظيمة؛ لـو بقيت منتظراً للصلاة مـدة طويلة، وأنت جالس لا تصلي، - بعد أن صليت تحية المسجد، وما شاء الله - فإنه يحسب لك أجر الصلاة.

وهناك أيضـًا شـيء رابع: أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسـه الذي صلى فيه، تقول: (اللهم صل عليه، اللهم

اغفر لـه، اللهم ارحمه، اللهم تب عليـه) وهذا أيضـًا فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال.

والشـاهد من هذا الحديث قولـه: (ثم خرج من بيته إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة) فإنه يدل على اعتبار النية في حصول هذا الأجر العظيم.

أما لو خرج من بيته لا يريد الصلاة، فإنه لا يكتب له هذا الأجـر؛ مثل أن يخرج مـن بيته إلى دكانـه؛ ولما أذن ذهب يصلـي؛ فإنه لا يحصـل على هـذا الأجـر؛ لأن الأجر إنما يحصل لمن خرج من البيت لا يخرجه إلا الصلاة.

لكـن ربما يكتب له الأجر من حين أن ينطلق من دكانه، أو من مكان بيعه وشـرائه إلى أن يصل إلى المسـجد؛ ما دام انطلق من هذا المكان وهو على طهارة. والله الموفق.[1]

٤) ينبغي للإنسـان أن يأتي إلى المسجد ماشيـًا ويرجع ماشـيـًا هذا هو الأفضل، ودليل ذلك قصة الأنصاري الذي

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٦٢ .

كان بعيد الدار فقيل له: «لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء والرمضاء» فقال: لا أشتري، أنا أحتسب على الله خطاي ذاهبًا وراجعًا، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد كتب الله لك ذلك كله» فدل ذلك على أن المجيء إلى المسجد على قدميه أفضل من المجيء على مركوبه؛ لأنه يحسب له أجر الخطا، ولكن إذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وخطوة السيارة دورة لعجلتها، إذا دار عجلها دورة واحدة فهذه تعتبر خطوة ؛ لأنه عند دورانه يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية فإذا كان الإنسان معذوراً فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وتكون كل دورة للعجلة بمنزلة الخطوة، وهذا أيضًا من فضائل المشي إلى المساجد: أن الله تعالى يكتب للإنسان الخطوات كلما ذهب وكلما رجع.(١)

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٥/ ٦٣ .

عند إمامة الجماعة

ينبغي للإمام أن يستشعر أنَّه في مقامِ الرَّسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إمامةِ الجماعة فيتأسَّى به فيما ينبغي أن يكون عليه في الإمامة، ويستشعرُ المأمومون أنهم في مقام أصحابِ الرَّسولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلا يتخلَّفُون عن الجماعة إلا لعذر ولا يفرِّطون في متابعة الإمام، ولا شَكَّ أنّ ارتباطَ آخِرِ الأمةِ بأوّلِها يعطي الأمةَ الإسلاميَّةَ دُفعةً قويةً إلى إتباع السَّلفِ وإتباع هديهم، وليتنا كُلَّما فعلنا فِعْلاً مشروعًا نستشعرُ أننا نقتدي برسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأصحابِهِ الكرام، فإنَّ الإنسانَ لا شَكَّ سيجِدُ دُفعةً قويةً في قلبِهِ تجعلُه ينضمُّ إلى سِلْكِ السَّلفِ الصَّالحِ، فيكون سلفيًّا عقيدةً وعملاً، وسُلوكًا ومنهجًا.(١)

❋❋❋

(١) انظر الشرح الممتع ٤/ ١٣٧ .

عند أخذ الزينة للصلاة

العبادات عند الغافل عادات، والعادات عند العاقل عبادات، فكلنا يلبس الثياب عند الصلاة، وعند الخروج إلى السوق، لكن هل نحن نشعر بلباسنا عند الصلاة أننا ممتثلون قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١] ومن عاداتنا أننا نغطي الرأس بالزينة، فالواحد منا يلبس غترة وشماغًا، فهل إذا أراد أن يصلي يحرص على لباس الغترة والشماغ وجميع اللباس أم لا؟!

الجواب: نعم؛ لأن الله يقول: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ [سورة الأعراف: آية ٣١]؛ لكن لو كنا في بلد اعتادوا ألا يلبسوا اللباس فوق الرأس، صار كشف الرأس عندهم لا نقص فيه، ولا ينقص الصلاة شيئًا؛ لأن الزينة لا تتناوله، فالزينة في كل موضع بحسبه.(١)

(١) انظر اللقاءات الرمضانية ص ٣٢٨.

عند التسوك

ينبغي للإنسان أن يتعاهد مسواكه ويغسله، أما أن يبقى طوال الدهر لا يغسل، فهذا لا يزيدك إلا تلويثًا .

قال بعض أهل العلم: ويتسوك عند قراءة القرآن؛ لأن الملك يتلقف القرآن من فم الإنسان إذا قام يقرأ القرآن، فينبغي أن يتسوك؛ ليكون فمه طيبًا طاهراً .

ثم إننا ننبه في آخر كلامنا هذا على أن تقصد بالسواك مرضاة الرب، فهو أهم من كونك تنظف الفم، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب) فأنت إذا تسوكت تنال بذلك رضا الله عَزَّوَجَلَّ، فانتبه لهذه النقطة، لأن كثيراً من الناس لا ينتبهون لمثل هذه الأشياء الدقيقة، فيفوتهم خير كثير.[1]

❋❋❋

(١) انظر شرح مشكاة المصابيح ٢/ ٣٢٦ .

عند صلاة الفجر وصلاة العصر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٨]، يجتمع في صلاة الصبح ملائكة الليل وملائكة النهار، ثم تصعد ملائكة الليل، وتبقى ملائكة النهار .

وهذا من عظمة الله عَزَّوَجَلَّ أن هؤلاء الملائكة الموكلون بحفظ بني آدم يتعاقبون بانتظام عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر، ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا وهو يصلي الفجر، وهو أن الملائكة الموكلين بحفظ بني آدم مجتمعون في هذه الصلاة، وكذلك عند صلاة العصر، لكننا -والله- نغفل كثيراً حتى تمر بنا هاتان الصلاتان، وكأنهما بقية الصلوات، وهذا أمر سببه الغفلة عن هذه الأمور العظيمة، وإلا فإنك لو استحضرت وأنت تصلي الفجر أن ملائكة الليل وملائكة النهار شاهدون معك في هذه الصلاة،

وكذلك في العصر، لو وجدت لهاتين الصلاتين شـأنـًا كبيراً، وأمراً عظيمـًا، لا تجده في غيرهما.[١]

❊❊❊

(١) انظر شرح الكافية الشافية ٢/ ٨٥.

عند التكبير

١) استشعر وأنت تقول: «الله أكبر» أي: أنَّ الله تعالى أكبر مِن كلِّ شيء في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه، وكلُّ ما تحتمله هذه الكلمة مِن معنى. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ومن هذه عظمته فهو أكبر مِن كل شيء. وقال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية:٣٧]. فكلُّ معنى لهذه الكلمة مِن معاني الكبرياء فهو ثابتٌ لله عَزَّوَجَلَّ.(١)

٢) فإن قال قائل: ما الحكمة من رفع اليدين في الصلاة؟

---

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ٢٢ .

فالجواب على ذلك: أن الحكمة في ذلك الاقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الذي يسلم به المرء من أن يتجول عقله هنا وهناك ...

فالمؤمن إذا قيل له: هذا حكم الله ورسوله، وظيفته أن يقول: سمعنا وأطعنا. ومع ذلك يمكن أن نتأمل لعلنا نحصل على حكمة من فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقول: الحكمة في رفع اليدين تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، فيجتمع في ذلك التعظيم القولي والفعلي والتعبد لله بهما، فإن قولك: «الله أكبر» لا شك أنك لو استحضرت معنى هذا تمامًا لغابت عنك الدنيا كلها؛ لأن الله أكبر من كل شيء، وأنت الآن واقف بين يدي من هو أكبر من كل شيء.[1]

❋❋❋

(١) انظر الشرح الممتع ٢٨/ ٣.

عند دعاء الاستفتاح

العبادات المتنوعة يشرع للإنسان أن يفعلها على تلك الوجوه التي أتت عليها، فمثلاً: الاستفتاح هناك استفتاحات متنوعة إذا استفتح بواحد منها أتى بالمشروع.

فمنها ما دل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد» .

ومنها أيضاً: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك».

فلو استفتح بالأول، أو الثاني، أو بغيرهما مما ورد من الاستفتاحات. فلا حرج عليه، بل الأفضل أن يستفتح بهذا تارة وبهذا تارة.

وكذلك ما ورد في التشهد، وكذلك ما ورد في أذكار الصلوات ...

وأعلم أن تنوع العبادات والأذكار من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على الإنسان؛ وذلك لأنه يحصل بها عدة فوائد، منها:

أن تنوع العبادات يؤدي إلى استحضار الإنسان ما يقول من الذكر؛ فإن الإنسان إذا داوم على ذكر واحد صار يأتي به بدون أن يحضر قلبه، فإذا تعمد وقصد تنويعها فإنه بذلك يحصل له حضور القلب.

ومن فوائد تنوع العبادات:

أن الإنسان قد يختار الأسهل منها والأيسر لسبب من الأسباب، فيكون في ذلك تسهيل عليه.

ومنها: أن في كل نوع منها ما ليس في الآخر فيكون في ذلك زيادة ثناء على الله عَزَّوَجَلَّ.(١)

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٨٦

عند الدخول في الصلاة

١) قد فشا هذا الأمر أعني الهواجيس في الصلاة، ولكن الذي يعين على إزالته هو أن يفتقر العبد إلى ربه، ويسأله دائمًا أن يعينه على إحسان العمل، وأن يستحضر عند دخوله في الصلاة أنه سيقف بين يدي ربه وخالقه الذي يعلم سره ونجواه، ويعلم ما توسوس به نفسه، وأن يعتقد بأنه إذا أقبل على ربه بقلبه أقبل الله عليه، وإن أعرض أعرض الله عنه، وأن يؤمن بأن روح الصلاة ولبها هو الخشوع فيها وحضور القلب، وأن الصلاة بلا خشوع القلب كالجسم بلا روح، وكالقشور بلا لب، ومن الأمور التي تستوجب حضور القلب أن يستحضر معنى ما يقول، وما يفعل في صلاته، وأنه إذا كبر، ورفع يديه، فهو تعظيم لله، وإذا وضع اليمنى على اليسرى، فهو ذل بين يديه، وإذا ركع، فهو تعظيم لله، وإذا سجد، فهو تطامن أمام علو الله، وأنه إذا قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ أجابه الله من فوق عرشه قائلاً:

حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال الله: مجدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، هكذا يجيبك مولاك من فوق سبع سموات، فاستحضر ذلك، وإنك إذا قلت: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، وإن كنت تقولها بصوت خفي، فإن الله تعالى يسمع ذلك، وهو فوق عرشه، فما ظنك إذ آمنت بأن الله تعالى يقبل عليك إذا أقبلت عليه في الصلاة، وإنه يسمع كل قول تقوله، وإن كان خفيًا، ويرى كل فعل تفعله، وإن كان صغيراً، ويعلم كل ما تفكر فيه، وإن كان يسيراً، إذا نظرت إلى موضع سجودك، فالله يراك، وإن أشرت بأصبعك عند ذكر الله في التشهد، فإنه تعالى يرى إشارتك، فهو تعالى المحيط بعبده علمًا وقدرة وتدبيراً وسمعًا وبصراً، وغير ذلك من معاني ربوبيته.[1]

(١) انظر الضياء اللامع من الخطب الجوامع ١/ ١٣٣

٢) مما يعين على الخشوع : أن الإنسان يفرغ قلبه إذا أقبل على الصلاة تفريغًا كاملاً، ويشعر بأنه واقفٌ بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما في قلبه كما يعلم تحركاته في بدنه، ليس كالملوك، يمكن أن تقف أمام الملك متأدبًا بظاهرك وقلبك في كل مكان ولا يعلم، لكن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ظاهرك وباطنك، فاستحضر أنك بين يدي الله، وإذا قلت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ استحضر أن الله يجيبك؛ لأنه ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ قال: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ قال: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ قال: مجدني عبدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين، وإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل).

لـو أننا اسـتحضرنا هـذه المحـاورة مـع الله عَزَّوَجَلَّ، هل يمكـن أن تلتفت قلوبنا يمينـًا أو شـمالاً؟ لكن المصلي في غفلة؛ فمن أكبر العون على الخشوع أولاً: أن يعتقد الإنسان أنه واقف بين يدي الله.(١)

❊❊❊

(١) انظر لقاء الباب المفتوح ص ٢١

عند قراءة الفاتحة

١) تصور أن الله عَزَّوَجَلَّ يناجيك وأنت في صلاتك، يسمعك من فوق سبع سموات ويرد عليك، إذا قلت: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾. قال الله: حمدني عبدي، وإذا قلت: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾. قال: أثنى علي عبدي، وإذا قلت: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، قال: مجدني عبدي. والتمجيد: التعظيم. ونقرأ الفاتحة على أنها ركن لا تصح الصلاة إلا بها، لكننا لا نشعر بهذه المعاني العظيمة، لا نشعر أننا نناجي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

من يشعر بهذا يجد لذة عظيمة للصلاة، ويجد أن قلبه استنار بها، وأنه خرج منها بقلب غير القلب الذي دخل فيها به.[1]

٢) عندما تقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: آية ٦] هل أنت تسأل الله علماً بلا عمل، أو عملاً بلا علم، أو علماً وعملاً؟

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٦/ ٨٥ .

الجواب: ينبغي للإنسان إذا دعا الله بقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] أن يستحضر أنه يسأل ربه العلم والعمل.

فالعلم الذي هو الإرشاد، والعمل هو التوفيق، وهذا فيما أظن - والعلم عند الله - أنه يغيب عن بال كثير من الناس عندما يقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦] (١).

٣) قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [سورة النساء: آية ٦٩]؛ هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٧]؛ ولهذا ينبغي للإنسان إذا قرأ الفاتحة أن يستحضر هؤلاء الأصناف الأربعة المهديين الذين هم خِيرَة عباد الله. (٢)

❋❋❋

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ١٤٦ .

(٢) انظر التعليق على صحيح البخاري ٩/ ٣٩٣ .

عند الركوع

١) مـن أركان الصـلاة: الركوع، وهـو الانحناء تعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ، لأنك تستحضر أنـك واقف بين يـدي الله، فتنحني تعظيمـًا له عَزَّوَجَلَّ،ولها قـال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (أمـا الركوع فعظموا فيه الرب عَزَّوَجَلَّ)، أي: قولوا سـبحان ربي العظيم، لأن الركـوع تعظيم بالفعل، وقول: (سـبحان ربي العظيم) تعظيم بالقـول، فيجتمع التعظيمـان بالإضافة إلـى التعظيم الأصلي وهو تعظيم القلب لله ؛ لأنك لا تنحني هكذا إلا لله تعظيمًا له، فيجتمع في الركوع ثلاثة تعظيمات:

١ - تعظيم القلب.

٢ - تعظيم الجوارح.

٣ - تعظيم اللسان.

فالقلب: تستشعر أنك ركعت تعظيمًا لله، واللسان: تقول سبحان ربي العظيم، والجوارح: تحني ظهرك.(١)

٢) ينبغي للإنسان إذا كان يصلي وقال: سبحان ربي العظيم. أن يستحضر أمر الله في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: آية ٧٤] وأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «اجعلوها في ركوعكم» حتى يجمع بين الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.(٢)

❊❊❊

(١) انظر شرح رياض الصالحين ١/ ٣٩٢ .

(٢) انظر تفسير سورة الواقعة ص ٣٤٦ .

عند الرفع من الركوع

يقـول بعد رفعه مـن الركوع: (ربنا لك الحمـد) ، أو (ربنا ولـك الحمـد) أو (اللهـم ربنا لك الحمـد) أو (اللهـم ربنا ولك الحمد)، فالصفات أربع مختلفة وهل يقولها في آن واحد؟

الجواب: يقول هذا مرة وهذا مرة.

وهـذه قاعدة ينبغي لطالب العلم أن يفهمها: أن العبادات إذا وردت على وجوه متنوعـة فإنها تفعل على هذه الوجوه، على هذا مرة وعلى هذا مرة.

وفي ذلك ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: الإتيان بالسنة على جميع وجوهها.

الفائدة الثانية: حفظ السـنة، لأنه لو أهملت إحدى الصفتين لنسيت ولم تحفظ.

الفائدة الثالثة: أن لا يكون فعل الإنسان لهذه السنة على سبيل العادة، لأن كثيراً من الناس إذا أخذ بسنة واحدة صار يفعلها على سبيل العادة ولا يستحضرها، لكن إذا كان يعود نفسه أن يقول هذا مرة وهذا مرة صار منتبهًا للسنة.(١)

❊❊❊

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٧٦.

عند دعاء القنوت

١) إذا قلنا في دعاء القنوت: «اللهم اهدنا فيمن هديت» فإننا نسأل الهدايتين، هداية العلم وهداية العمل، كما أن قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، يشمل الهدايتين هداية العلم، وهداية العمل، فينبغي للقارئ أن يستحضر أنه يسأل الهدايتين: هداية العلم وهداية العمل.

وقوله: «فيمن هديت» هذه من باب التوسل بإنعام الله تعالى على من هداه، أن ينعم علينا نحن أيضًا بالهداية.

ويعني: أننا نسألك الهداية فإن ذلك من مقتضى رحمتك وحكمتك ومن سابق فضلك فإنك قد هديت أناسًا آخرين.(١)

٢) إذا قلنا في دعاء القنوت: «وعافنا فيمن عافيت» أي: عافنا من أمراض القلوب وأمراض الأبدان.

---

(١) انظر شرح دعاء القنوت .

وينبغي لك يا أخي أن تستحضر وأنت تدعو، أن الله يعافيك من أمراض البدن، وأمراض القلب؛ لأن أمراض القلب أعظم من أمراض البدن، ولذلك نقول في دعاء القنوت: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا» .

۞ أمراض الأبدان معروفة لكن أمراض القلوب. تعود إلى شيئين:

* **الأول:** أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى. الثاني: أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل. فالأول: أمراض الشهوات التي منشؤها الهوى، أن يعرف الإنسان الحق، لكن لا يريده؛ لأن له هوًى مخالفًا لما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* **والثاني:** أمراض الشبهات التي منشؤها الجهل؛ لأن الجاهل يفعل الباطل يظنه حقًّا وهذا مرض خطير جدًّا. فأنت تسأل الله المعافاة والعافية من أمراض

الأبـدان، ومـن أمـراض القلـوب، التي هـي أمراض الشبهات، وأمراض الشهوات.[١]

❊❊❊

(١) انظر شرح دعاء القنوت .

عند السجود

١) المراد بتسبيح الله عَزَّوَجَلَّ تنزيهه المتضمن لبعده عن كل نقص، والنقص إما أن يكون في أصل الصفة، وإما أن يكون بمقارنتها بغيرها.

ففي أصل الصفة نقول: هو حي، عليم، قادر، حكيم، عزيز، فكل صفاته ليس فيها نقص، فهو حي حياة لا نقص فيها، سميع سمعًا لا نقص فيه، عليم علمًا لا نقص فيه، فلا نقول مثلاً إن علمه عَزَّوَجَلَّ مسبوق بجهل، أو أنه يلحقه نسيان.

والنقص باعتبار مقارنتها بغيرها: بأن ننزهه عن مماثلة المخلوقين؛ لأن تمثيله بالمخلوقين يعتبر نقصًا، فلا نقول مثلاً إن وجه الله عَزَّوَجَلَّ كوجه المخلوق.

فصار - بذلك - النقص دائراً بين شيئين:

* **الأول:** نقص الصفة بذاتها فصفاته غير ناقصة.

* **والثاني:** نقصها باعتبار مقارنتها بصفة المخلوق، فإنه لا مقارنة بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فهو منزه عن النقص في صفاته، وعن النقص بمشابهته أو بمماثلته بالمخلوقين.

ونحن نقول في كل صلاة: (سبحان ربي الأعلى)، فهل نحن حينما نقول: (سبحان ربي الأعلى) نستحضر هذا المعنى أم نقول: (سبحان ربي الأعلى) باعتبار أنه ذكر وثناء على الله؟

والجواب: أن الغالب على الناس عمومًا وخصوصًا أنهم إذا قالوا: (سبحان ربي الأعلى) لا يشعرون إلا بالثناء على الله والتنزيه المطلق، ولا يستحضرون معنى: اللهم إني أنزهك يا ربي عن مماثلة المخلوقين، وعن كل نقص في صفاتك، فلا يشعر القائل بهذا المعنى إلا قليلاً.[1]

(١) انظر شرح العقيدة السفارينية ص ٤٥ .

٢) المهم أننا نشعر في قولنا: «سُبحانَ رَبِّيَ الأعلى» أنَّ اللهَ عَلِيٌّ في ذاته، وعَلِيٌّ في صفاته، بل هو أعلى مِنْ كلِّ شيء، والله تعالى وَصَفَ نفسَه أحيانًا بالأعلى، وأحيانًا بالعليِّ، لأن الوصفين ثابتان له: العلو، وكونه أعلى، كما أنه يوصف بأنه الكبير وأنه الأكبر، وبالعليم وبالأعلم. وصيغة التفضيل في هذه الأشياء على بابها، وليست بمعنى اسم الفاعل كما يدَّعيه بعض العلماء.(١)

٣) البكاء من خشية الله عَزَّوَجَلَّ من صفات أهل الخير والصلاح، وكان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخشع في صلاته ويكون لصدره أزيز كأزيز المرجل، وقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: آية ١٠٩].

فالبكاء عند قراءة القرآن، وعند السجود، وعند الدعاء من صفات الصالحين، والإنسان يحمد عليه، والأصوات التي تسمع أحيانًا من بعض الناس هي بغير

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٢٥ .

اختيارهم فيما يظهر، بل هو شيء يجده في نفسه ويقع بغير اختياره، وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: إن الإنسان إذا بكى من خشية الله فإن صلاته لا تبطل ولو بان من ذلك حرفان فأكثر، لأن هذا أمر لا يمكن للإنسان أن يتحكم فيه، ولا يمكن أن نقول للناس لا تخشعوا في الصلاة ولا تبكوا، بل نقول إن البكاء الذي يأتي بتأثر القلب مما سمع أو مما استحضره إذا سجد؛ لأن الإنسان إذا سجد يستحضر أنه أقرب ما يكون إلى ربه عَزَّوَجَلَّ، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد". والقلب إذا استحضر هذا وهو ساجد لاشك أنه يخشع ويحصل البكاء.(١)

٤) كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في سجوده: (اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانية وسره) رواه مسلم.

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٣٢ .

هذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله عَزَّوَجَلَّ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية وكذلك ما أخفاه وكذلك دقه وجله، هذه هي الحكمة في أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فصل بعد الإجمال، فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؛ لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء.(١)

٥) الإنسان إذا سجد يقول: سبحان ربي الأعلى، يتذكر بسفوله هو، لأنه هو الآن نزل، فأشرف ما في الإنسان وأعلى ما في الإنسان هو وجهه ومع ذلك يجعله في الأرض التي تداس بالأقدام، فكان من الحكمة أن تقول: سبحان ربي الأعلى، يعني أنزه ربي الذي هو فوق كل شيء، لأني نزلت أنا أسفل كل شيء، فتسبح الله الأعلى بصفاته، والأعلى

(١) انظر التعليق على صحيح مسلم ٣/ ٢٤٣ . وشرح رياض الصالحين ٥/ ٥٠٩ .

بذاته، وتشـعر عندما تقول: سـبحان ربـي الأعلى، أن ربك تعالى فوق كل شيء، وأنه أكمل كل شيء في الصفات.[(١)]

❊❊❊

(١) انظر تفسير جزء عم ص ١٥٩

عند الجلوس بين السجدتين

قوله: «رَبِّ اغفرْ لي»: أي: أنك تسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يغفرَ لك الذُّنوبَ كلَّها الصغائر والكبائر.

والمغفرة هي: ستر الذنب والعفو عنه، مأخوذة من المِغْفر الذي يكون على رأس الإنسان عند الحَرْبِ يتَّقي به السهام.

وأما «ارحمني»: فهو طلبُ رحمة الله عَزَّوَجَلَّ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، هذا إذا جُمع بينهما.

أما إذا فُرِّقت المغفرة عن الرحمة؛ فإنَّ كُلَّ واحدة منهما تشمَلُ الأخرى.

وأما قوله: «ارزقني» فهو طلب الرزق، وهو ما يقوم به البدن، وما يقوم به الدِّين.

يعني؛ أنَّ رِزْقَ الله عَزَّوَجَلَّ ما يقوم به البدن من طعام وشراب ولباس وسَكَنٍ، وما يقوم به الدِّين من عِلْمٍ وإيمانٍ وعَمَلٍ صالح.

والإنسان ينبغي له أن يعوِّد نفسَه على استحضار هذه المعاني العظيمة حتى يخرج منتفعًا.

فإذا قال: «ارزقني» يعني: ارزقني ما به قِوام البدن، وما به قِوام الدِّين.

قوله: «وعافني» أي: أعطني العافية مِن كلِّ مرضٍ ديني أو بدني، ثم إن كان متَّصفًا بهذا المرض؛ فهو دعاء برَفْعِهِ، وإن كان غير متَّصف فهو دعاء بدَفْعِهِ، بحيث لا يتعرَّض له في المستقبل.

فينبغي للإنسان إذا سأل العافية في هذا المكان أو غيره أن يستحضر أن يسأل الله العافية: عافية البدن، وعافية الدِّين.

قولـه: «واجبرني» الجَبْرُ يكون من النَّقْصِ، وكلُّ إنسـان ناقص مفرِّط مُسِـرفٌ على نفسـه بتجاوز الحـدِّ أو القصور عنـه، ويحتاج إلى جَبْرٍ حتى يعود سـليمًا بعد كَسْـرِه؛ لأن الإنسان يحتاج إلى جَبْرٍ يَجبرُ له النَّقْصَ الذي يكون فيه.

فهـذه المعـاني التي تُذكـر في الأدعية ينبغي للإنسـان أن يسـتحضرها. فـإن قال قائـل: أليس يغني عـن ذلك كله أن يقـول: «اللَّهُمَّ ارحمنـي»؟ لأنَّ الرحمة عنـد الإطلاق: بها حصولُ المحبوب وزوال المكروه؟

فالجـواب: بلى، لكـن مقام الدُّعـاء ينبغي فيه البسـط، لكن على حسـب ما جاءت به السُّنَّة، وليس البسط بالأدعية المسـجوعة التي ليـس لها معنـى، أو يكون لهـا معنى غير صحيح.

وإنما كان البسط مشروعاً في الدُّعاء لأسباب:

١. لأنّ الدُّعاء عبادة، وكلما ازددتَ من العبادة ازددتَ خيراً.

٢. أنَّ الدُّعاء مناجاة لله عَزَّوَجَلَّ، وأحبُّ شيء للمؤمن هو الله عَزَّوَجَلَّ، ولا شكَّ أنَّ كثرةَ المناجاة مع الحبيب مما تزيد الحُبَّ.

٣. أن يستحضر الإنسانُ ذنوبَه على وجه التفصيل، لأن للذُّنوب أنواعًا، فإذا زِيدَ في الدُّعاء استحضرت، ولهذا كان من دُعاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ اغْفِر لي ذنبي كُلَّهُ، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوَّلَهُ وآخرهُ، وعلانيتَهُ وسِرَّهُ». (١)

❊❊❊

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٣٠ . وشرح رياض الصالحين ٦/ ١٩ .

عند التشهد

١) **علم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التشهد وأمره أن يعلمه الناس وهو: "التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله".

وفيه صفة أخرى علمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهي: "التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله"، وهذه الصفة تختلف في بعض الجمل عن حديث ابن مسعود، والفرق بينهما في قوله: "المباركات" فهي ليست موجودة في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و"المباركات" التي جعل الله فيها البركة مثل قوله تعالى: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١]. فوصفها بالبركة والطيب.

ومن الفروق أيضًا أن في آخر حديث ابن مسعود، "وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" وفي حديث ابن عباس: "وأشهد أن محمداً رسول الله".

هذا هو التشهد الذي علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته وأمر من بلغه أن يعلمه الناس.

وقد اختلف العلماء بأيهما نختار؟

فاختار بعض العلماء تشهد ابن مسعود، وقال: لأنه ثابت في الصحيحين، فهو أقوى من حديث ابن عباسٍ الثابت في مسلم، ولأنه فيه عطف لهذه الجمل: "التحيات لله، والصلوات والطيبات"، أما تشهد ابن عباس فليس فيه عطف، والعطف يقتضي المغايرة، فيكون حديث ابن مسعود دالاً على معنى أكثر من حديث ابن عباس، ولهذا رجحوا حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولكن الصحيح: أنه لا ترجيح ما دام يمكن العمل بالحديثين جميعًا كما هي القاعدة المتبعة فيما إذا وردت النصوص مختلفة وأمكن

الجميع بينها فإننا لا نلجأ إلى الترجيح، لأن الترجيح معناه: الأخذ بالراجح وإهمال الآخر، وهذا لا ينبغي، والجمع هنا ممكن، وهو أن نقول هذا أحيانًا وهذا أحيانًا لنعمل بالسنة، وهذا هو الصحيح أنه ينبغي للإنسان أن يتشهد بما دل عليه حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحيانًا، وأحيانًا بما دل عليه حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ لأن هذا هو المشروع في العبادات الواردة على وجوه متنوعة، حتى يأتي بالسنة على وجهيها، وحتى تحفظ السنة، ولذلك الذين يستمرون على حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو تسألهم عن حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يعرفونه، فإذا عمل بالنصين جميعًا صار في ذلك حفظًا للسنة.

أيضًا: أبلغ في الثناء على الله، لأنه يكون في هذا الذكر ما ليس في الثاني.

أيضًا: أن الإنسان يستحضر ما يقول، لأنه إذا ذكر الله بهذا الذكر في هذه المرة ثم ذكره بالذكر الآخر في المرة

الثانية صار قلبه حاضراً، أما إذا لزم ذكرًا واحدًا فصار- كما يقولون- كالآلة التلقائية يقرأ على العادة بخلاف ما إذا جعل نفسه تتطلع مرةً إلى هذا ومرةً إلى هذا صار عنده استحضار أكثر.

أيضًا: أن هذا أيسر على المكلف فيما إذا كانت الأنواع بعضها أيسر من بعض فإنه في بعض الأحيان قد لا يناسبه إلا الأسهل والأيسر.

أيضًا: أن الإنسان لا يمل إذا بقي على صفة واحدة.

أيضًا: يستشعر أنه متعبد لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه إذا بقي على وتيرة واحدة فإنه يفعل هذا الشيء بدون استشعار للعبودية؛ لأنه على العادة، ولهذا ما يدري إلا وهو في آخر التشهد على العادة بخلاف ما لو عود نفسه فمرة يفعل هذا، ومرة يفعل هذا، فهذه من فوائد إتيان العبادات على وجودٍ متنوعة.

وهذه القاعدة هي التي مشى عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكثير من أهل العلم أن العبادات الواردة على وجوه متنوعة ينبغي للإنسان أن يعمل بها كلها.(١)

٢) قوله: «والطيبات». الطيبات لها معنيان:

المعنى الأول: ما يتعلَّق بالله.

المعنى الثاني: ما يتعلَّق بأفعال العباد.

فما يتعلَّق بالله فله مِن الأوصاف أطيبها، ومِن الأفعال أطيبها، ومن الأقوال أطيبها، قال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله طيب، لا يَقبلُ إلا طيبًا ... » يعني: لا يقول إلا الطيب، ولا يَفعلُ إلا الطَّيب، ولا يتَّصفُ إلا بالطيب، فهو طيب في كُلِّ شيء؛ في ذاته وصفاته وأفعالِه. وله أيضًا مِن أعمال العباد القولية والفعلية الطَّيبُ ، فإن الطَّيبَ لا يليقُ به إلا الطَّيب

(١) انظر التعليق على المنتقى ١/ ٣٣٦ . وفتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٣٨٤ . والتعليق على مسلم ٣/ ٨١ .

ولا يقدم له إلا الطيب، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] فهذه سُنَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ.

فهل أنت أيُّها المصلِّي تستحضر حين تقول «الطيبات لله» هذه المعاني، أو تقولها على أنها ذِكْرٌ وثناء؟

أغلبُ النَّاسِ على الثاني، لا يستحضر عندما يقول: «الطيبات» أن الله طيِّب في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه وأقوالِه، وأنه لا يليقُ به إلا الطَّيب مِن الأقوال والأفعال الصَّادرة مِن الخَلْقِ.(١)

٣) السلام بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: السلام عليك فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة: يسلمه من المرض يسلمه من الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب،

(١) انظر الشرح الممتع ٣/ ١٤٨.

يسلمه من النار، فهو لفظ عام، معناه: الدعاء للمسلم عليه بالسلامة من كل آفة. وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من محبتهم لله عَزَّوَجَلَّ كانوا يقولون في صلاتهم: السلام على الله من عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان وفلان، فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: السلام على الله من عباده، وقال: «إن الله هو السلام» يعني: السالم من كل عيب ونقص جَلَّ وَعَلَا فلا حاجة أن تثنوا عليه بالدعاء بأن يسلم نفسه.

ثم قال لهم: قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض».

ولا أدري هل نحن نستحضر هذا إذا قلنا في الصلاة: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؟!» لا أدري هل نحن نستحضر أننا نسلم على أنفسنا، السلام علينا، وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض، يعني نسلم على الأنبياء،

نسلم على الصحابة، نسلم على التابعين لهم بإحسان، نسلم على أصحاب الأنبياء، كالحواريين أصحاب عيسى، والذين اختارهم موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سبعين رجلاً، وغير ذلك ؟!

هل نحن نستحضر أننا نسلم على جبريل وعلى ميكائيل وعلى إسرافيل وعلى مالك خازن النار وعلى خازن الجنة وعلى جميع الملائكة؟!

لا أدري هل نحن نستحضر هذا أم لا؟

إن كنا لا نستحضر فيجب أن نستحضر ذلك.

لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض».[1]

❋❋❋

(١) انظر شرح رياض الصالحين ٤/ ٣٨١ . وفتح ذي الجلال والإكرام ٣/ ٤٠٢ .

الفهرس

- وصية العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ٤
- أهمية استحضار نية التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ٥
- عند استحضار النية ٦
- استحضار احتساب الأجر على الله تعالى ٩
- عند الطهارة من النجاسة والحدث ١٠
- عند الوضوء ١٣
- عند الفراغ من الوضوء ١٦
- عند الذهاب إلى المسجد ١٧
- عند إمامة الجماعة ٢٢
- عند أخذ الزينة للصلاة ٢٣
- عند التسوك ٢٤
- عند صلاة الفجر وصلاة العصر ٢٥
- عند التكبير ٢٧
- عند دعاء الاستفتاح ٢٩

- عند الدخول في الصلاة ٣١
- عند قراءة الفاتحة ٣٥
- عند الركوع ٣٧
- عند الرفع من الركوع ٣٩
- عند دعاء القنوت ٤١
- عند السجود ٤٤
- عند الجلوس بين السجدتين ٥٠
- عند التشهد ٥٤
- الفهرس ٦٢

❊❊❊